السيدة مريم عليها السلام في القرآن الكريم والعهد الجديد

مقدمة من

أحمد محمد يوسف أشقر

بكالوريوس لاهوت من أكاديمية الدراسات اللاهوتية – القدس

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة

برنامج دراسات إسلامية معاصرة/ جامعة القدس

آذار/٢٠٠٣

برنامج الدراسات الاسلامية المعاصرة

كلية الدراسات العليا

السيدة مريم عليها السلام في القرآن الكريم والعهد الجديد

اسم الطالب: أحمد محمد يوسف أشقر

الرقم الجامعي: ٢٠٠١١٩٥

المشرف: د.سعيد القيق

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ : .....

من لجنة المناقشة المدرجة أسماءهم وتواقيعهم:

١- ..... رئيس لجنة المناقشة التوقيع .....

٢- ..... ممتحناً داخلياً التوقيع .....

٣- ..... ممتحناً خارجياً التوقيع .....

جامعة القدس

٢٠٠٣/٢٠٠٢

تمهيد واحتراس أ
مقدمة **(30 -1)**

محددات الدراسة 1
أهداف الدراسة 3
منهج البحث 6
أسباب اختيار الدراسة 9
الأدبيات السابقة 10
المسيحية 10
أ- العهد الجديد 10
ب- الأناجيل المنحولة 13
ت- التراث الكنسي 16
ث- الكنيسة الكاثوليكية 17
ج- الكنيسة الأرثوذكسية 18
ح- الكنائس البروتستانتية 19
خ- الكنيسة الأنجليكانية: بشقيها المحافظ والإنجيلي 20
الإسلامية 22
أ- القرآن الكريم 22
ب- التفاسير 27
ت- الأدبيات المعاصرة 27
ث- 1- الذين التزموا القرآن روحا ونصّا 27
ت- 2- الذين التزموا روح القرآن ولم يلتزموا نصّه 28
المقارنة 29
أ- المسيحية 29
ب- الإسلامية 30

الفصل الأول- شخصية مريم في العهد الجديد **(98 -31)**
تمهيد 31
المبحث الأول: نسبها 34
المبحث الثاني: أسرتها 44
المبحث الثالث: بشارتها 47
المبحث الرابع: نشيدها 54
المبحث الخامس: حملها وولادتها 60
المبحث السادس: هجرتها برفقة (يسوع ويوسف)إلى مصر 68
المبحث السابع: مريم (ويوسف) يرافقان يسوع إلى الهيكل 75
المبحث الثامن: مريم ترافق يسوع المسيح في كرازته وحتى قيامته 78
المبحث التاسع: مريم و"اخوة" و"أخوات" يسوع المسيح 83
المبحث العاشر: مكانتها 88
الخلاصة 97

الفصل الثاني- شخصية مريم في القرآن الكريم **(163 -99)**
تمهيد 99
المبحث الأول: نسبها 103
المبحث الثاني: أسرتها 113
المبحث الثالث: مولدها 116
المبحث الرابع: في المحراب 124
المبحث الخامس: البشارة 130
المبحث السادس: حملها 142
المبحث السابع: ولادتها 146
المبحث الثامن: كرامتها 149
المبحث التاسع: مكانتها 154
خلاصة 162

الفصل الثالث- الائتلاف والاختلاف **(191-164)**
تمهيد 164
القسم الأول: الائتلاف 165
المبحث الأول: نسب العذراء مريم 166
المبحث الثاني: بشارتها 171
المبحث الثالث: حملها وولادتها 173
المبحث الرابع: مكانتها 176
القسم الثاني: الاختلاف 178
المبحث الأول: أسرة مريم وحياتها حتى البشارة 180
المبحث الثاني: مكانا البشارة والولادة 182
المبحث الثالث: مريم ترافق يسوع إلى الهيكل 186
المبحث الرابع: كراماتها 188
المبحث الخامس: هجرتها إلى مصر 189
المبحث السادس: مريم ترافق يسوع في كرازته حتى صلبه 189
القسم الثالث: اختلاف وتكامل 191
- مريم في المحراب ونشيدها 191

الخاتمة **(197 -192)**
قائمة المصادر والمراجع

Abstract

الخاتمة

قمن في هذا البحث بتوصيف شخصية مريم كما ورد ذكرها في العهد الجديد، على حدة، وفي القرآن الكريم، على حدة. وعقدنا ذلك التوصيف من خلال المباحث الآتية: نسبها، وأسرتها وحياتها قبل البشارة، وبشارتها، ونشيدها، وحملها وولادتها، وهجرتها (ويسوع ويوسف) إلى مصر، ومريم (ويوسف) يرافقان يسوع إلى الهيكل، ومريم ترافق يسوع المسيح في كرازته وحتى (صلبه)، ومريم و:اخوة" و"أخوات" يسوع المسيح ومكانتها- هذا في العهد الجديد. أما في القرآن فقد أنجزنا توصيف شخصيتها من خلال المباحث: نسبها، وأسرتها، ومولدها، وتعبدها، وبشارتها، وحملها، وولادتها، وكراماتها ومكانتها.

في الفصل الأول الخاص بالعهد الجديد، عمدت إلى توصيف شخصيتها كما جاءت فيه، وابتعدت عن أي مؤثر طائفي، لأن الخلافات حول مكانتها بين الطوائف كثيرة (فقد ذكرت هذه الخلافات في الأدبيات السابقة). فوجدت أن لمريم شخصية خاصة به. وأنها امرأة تعي دورها وما ينتظر ولدها. لذا هربت به خوفا عليه من النظام السياسي، واصطحبته إلى الهيكل، أهم مكان عند اليهود، لتقوم بتثبيته، سن التكليف بأداء الفروض والطقوس الدينية اليهودية، ورافقته في بعض جولاته الكرازية. في هذا الجولات نلاحظ بداية الفصل بين لاهوته وناسوتها، وقد حُسم هذا الفصل نهائيا عندما غابت عن قيامته- مريم أهم امرأة في العهد الجديد.

أما القرآن الكريم فقد أكد حاسما ومنذ البداية على استقلال شخصيتها عن ابنها عيسى المسيح، أكثر مما هو في العهد الجديد، وما الخلافات في بعض القضايا الخاصة به سوى نقاشات محمودة. كما أكد أن شخصيتها محسومة منذ البداية في طريق الإيمان. فهي من عائلة مصطفاة في النبوة. وكانت أمها

قد نذرتها وأدخلتها للتعبد في المحراب. علما أن نذر الإناث للتعبد في المعابد اليهودية كان نادرا وفريدا للغاية. وأكرمها القرآن بكرامات خاصة بها فقط (بصورة مستقلة عن ابنها). ودافع عنها أمام حملات التغريض والشائعات بصورة واضحة.

ولدى استجلاء أهم المحاور التي جاءت في العهد الجديد والقرآن، نجد محورين أساسيين: الأول- يؤكد العهد الجديد على دورها الاجتماعي في حياة يسوع المسيح (الهروب إلى مصر، وتثبيته في الهيكل ومرافقته في بعض جولاته الكرازية). الثاني- تأكيد القرآن على استقلال شخصيها (أكثر مما هو في العهد الجديد)، وحسمها في طريق الإيمان قبل أن تلد.

ومع هذا يتفق العهد الجديد والقرآن الكريم على أن مكانتها هي الأعلى والأسمى بين النساء اللواتي ذكرن فيهما. والحقيقة أن الاختلافات بين الكتابين أسهمت في أن يرفد كل منهما رواية الآخر. لذا يمكن اعتبار قصتي العهد الجديد والقرآن قصة واحدة، لأن القصتين حافظتا على جواهر المحاور، البشارة والحمل والولادة المعجزية والمكانة. والاختلافات، محاورٌ تتكامل في صياغة شخصيتها والتعريف بها.

وبعد؛

إن سيرة حياة مريم عليها السلام مقصوصة باختصار في العهد الجديد، وفي إنجيلي متّى ولوقا. وخلاصتها أنها كانت تسكن في الناصرة. وكانت مخطوبة ليوسف النجار. وجاءها الملاك وهي في الناصرة يبشّرها بالحبل والولادة المعجزية، من غير علاقة جنسية، شرعية أو غير شرعية. وأنها اضطربت وزارت نسيبتها أليصابات التي كانت هي وزوجها زكريا طاعنين في السنّ، وأن الملاك،

قبل أن يبشر مريم بالحبل والولادة المعجزية، كان قد بشّر زكريا بولادة ابنه يوحنا المعمدان. وكنّا قد سميّنا بشارة زكريا وولادة زوجته البشارة والحمل والولادة التمهيدية. أما بشارة وحمل وولادة مريم فقد سميناها البشارة والحمل والولادة المركزية. فالتمهيدية جاءت لتمهد بأن أمرا عظيما معجزيا قادم. والعهد الجديد يخبرنا أن كانت تمارس الشريعة والطقوس اليهودية أكثر من أية امرأة أخرى. وأنها امرأة واعية بالتراث الديني المسياني لليهود، هذا ما نفهمه من نشيدها "تعظم الربّ نفسي". وأنها هربت بيسوع المسيح إلى مصر خوفا عليه من النظام السياسي في حينه. واصطحبته (ويوسف أيضا) إلى هيكل أورشليم لتثبيته في الدين اليهودي. ويخبرنا العهد الجديد أنها رافقت ابنها، يسوع المسيح، في كرازنه في العرس في قانا، وقد ذهبت هي (واخوته وأخواته) إلى كفر ناحوم لإعادته إلى البيت لأنها سمعت أنّ مسّا قد أصابه. وعلينا أن نشير: عندما كانا في العرس في قانا نفذ الخمر، لذا طلبت منه أن يصنع عجيبة بإعداد خمر جديد إلا أنه رفض طلبها قائلا: "مالي ولك يا امرأة لم تحن ساعتي بعد". وحسب إنجيل يوحنا، فإن مريم تعود للظهور، بعد أن اختفت سنوات طويلة أثناء كرازته ومطاردته، أثناء صلبه. ويذكر يوحنا أن يسوع المسيح كان قد طلب منه رعايتها.

مما تقدم نستنتج الأمور الآتية؛ أولا- ظهرت قصة مريم على هامش قصة يسوع المسيح، أي أن سيرتها كانت هامشية بعض الشيء إذا ما قورنت بسيرتها التي تظهر في سياق سيرته. ثانيا- كان هنا خلاف حول مكانتها في سياق فكر ومعتقدات المسيح. وما يؤكد لنا هذا غيابها عن الأحداث الجسام التي مرّ بها ابنها (مطاردة اليهود والسلطة السياسية له، واعتقاله، وصلبه- إلا عند يوحنا كما بينا ورفعه) ومكانتها. فما قوله: "ما لي ولك يا امرأة لم تحن ساعتي بعد" إلا دليلٌ آخر يؤشر على الخلاف حول مكانتها، الأمر الذي فتح أبواب الخلاف على مصراعيها بين الطوائف المسيحية المختلفة، والتي بدأنا نلحظها في القرن الثاني الميلادي بين آباء الكنيسة، مثل: أوريجانوس ويوحنا فم

الذهب في القرن الخامس... حتى لنرى اليوم كم هي الخلافات بين هذه الطوائف بالغة، فمثلا: يعتبرها المعمدانيون امرأة عادية، والبروتستانت قديسة إلا أن شفاعتها لا تجوز، والكاثوليك والأرثوذوكس "والدة الإله"، كما بينا في المقدمة لكنها رغم هذه الخلافات بقيت أهم امرأة في العهد الجديد والحياة المسيحية.

أما القرآن الكريم الذي يتفق مع العهد الجديد في القضايا الجوهرية حول البشارة والحبل والولادة البتولية "نفخة من روح الله" ونسبها الداودي ومكانتها الأسمى بين النساء؛ فإنه لا يختلف فقط حول أسرتها وحياتها حتى البشارة ومكاني البشارة والولادة ومرافقتها ابنها إلى الهيكل، وبعض كرازاته وهجرتها إلى مصر...؛ بل في عرض سيرتها. فقد عرض صورتها بشكل مستقل أكثر مما فعل العهد الجديد. وما إفراد سورة لها وأخرى تحمل اسم أبيها/أهلها إلا تأكيدٌ على هذه الاستقلالية. إضافة إلى هذا فإن القرآن الكريم يسرد تفاصيل أكثر من العهد الجديد، وهي مهمة للإشارة إلى سموّ مكانتها في الإسلام. فالقرآن يتحدث عن حياتها، وقبل أن تولد، أنها محسومة في خط الإيمان. وكذلك لم يبق القرآن مكانا للخلافات حول مكانتها. لذا فإن موقف المسلمين جميعهم موحد وواحد حول مكانتها. وما إقران الشيعة لفاطمة الزهراء بمريم العذراء إلا تشريف وتكريم لفاطمة، لا سيما أن النصوص القرآنية حول مريم واضحة ولا تحتمل أي تفسير أو تأويل من شأنه أن يحطّ من مكانتها.

أثناء إعدادي لهذه الرسالة ، كنت قد تجولت كثيرا في المكتبات الجامعية والعامة في فلسطين، بشقيها المحتلين في العامين 1948 و1967، وفي الأردنية. وقابلت العديد من الأشخاص سواء من أهل الاختصاص والعوام، والمتدينين والعلمانيين، فاتضح لي ما يأتي:

1- جميع رجال الدين المسيحيين يعرفون مكانة مريم وسيرتها في القرآن الكريم جيدا. بل أنهم يحفظون عن ظهر قلب جميع الآيات الخاصة بمريم (والمسيح) الواردة في القرآن الكريم.

2- أما رجال الدين المسلمون فلا يعرفون شيئا عن سيرتها ومكانتها في العهد الجديد. وكل ما يعرفونه هو أنها والدة عيسى المسيح وقد ولدته بمعجزة.

3- أما عوام المسيحيين فلا يعرفون شيئا عن المكانة السامية التي تتمتع بها مريم في القرآن والعقيدة الإسلامية. علما أنهم يعرفون، ليس بشكل جيد، سيرتها ومكانتها في العهد الجديد والعقيدة المسيحية.

4- أما عوام المسلمين إذا ما قورنوا بعوام المسيحيين، فإنهم لا يعرفون كثيرا عن مكانتها في القرآن والعقيدة الإسلامية، وأكاد أقول إنهم لا يعرفون شيئا. وكل ما يعرفونه هو معلومات عامة وسطحية لا ينسجم معظمها مع النصّ القرآني والإسلامية.

بناء على ما تقدم أرى من الضروري نشر هذا البحث في طبعة شعبية، من شأنها أن تقدم معلومات رصينة للقراء المسلمين والمسيحيين، والتأكيد لهم أن ما يجمعهم في الإيمان أكثر بكثير مما يفرقهم. وإنني أرى أن الحوار الحضاري بين الأديان واجب قومي وطني من الدرجة الأولى. فتعزيز الصفوف في أي مستوى كان هو ضرورة وواجب... لأن الاحتلال يضطهد المسلمين والمسيحيين على حد سواء. والحوار الحضاري بين الشعوب من شأنه أن ينقي الأجواء لما فيه خير العباد.

وفي الآونة الأخيرة بدأ التحريض ضد الإسلام والمسلمين والعرب، وغالبا ما تنشر الأوساط الرسمية والصهيونية معلومات مشوّهة ومغلوطة عن الإسلام والمسلمين والعرب. لذا أرى بحثي مساهمة متواضعة في توضيح بعض القضايا الخاصة والمشتركة بإيمان المسلمين والمسيحيين، وعليه أرى:

1- ضرورة ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية ولغات أخرى. فترجمة البحث ستقدم صورة رصينة ومتوازنة للمسلمين والمسيحيين، كل عن الآخر، في مسألة عقدية مهمة للغاية.

2- أرى أن تبادر جامعة القدس بالاشتراك مع جامعات ومؤسسات بحثية أخرى في البلاد، مثل جامعة بيت لحم وسمينار بيت جالا للفلسفة واللاهوت، إلى إقامة مركزا للدراسات الدينية. وعلى هذا المركز أن يستقطب طلبة وأساتذة من فلسطين والوطن العربي والعالم، كي يكونوا سفراء أكاديميين للمسلمين والمسيحيين والعرب. وعلينا نحن العرب الفلسطينيين من كافة المشارب الفكرية والعقائد أن نتحول إلى منتجين للمعرفة والثقافة وليس مستهلكين لها.